درس في الإنجاز مشفوعاً بالعزم والتوكل على الله

قصة موقع مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية، القصة المتجددة

www.kantakji.com

بعد غدٍ هو ٠١ –٠٧–٢٠١٩ وفيه يبلغ موقع مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية الستة عشر عاماً، فقد تأسس الموقع عام ٢٠٠٣ إثر انتهائي من مرحلة الدكتوراه. كانت فكرته: أني عانيت كثيرا في جمع المصادر لدراستي في مرحلة الدكتوراه؛ سافرت إلى عدة بلدان، لزيارة عدد من العلماء، والمكتبات، ومراكز البحث، أملا في جمع المادة العلمية لإكمال دراساتي العليا.

وصباح اليوم التالي لمناقشتي للدكتوراه، قلت في نفسي؛ أكلما رغب باحث في دراسة الاقتصاد الإسلامي سيأخذ نفس الطريق الشائك الذي سلكته؟ ففكرت ببناء موقع على الانترنيت ووضع ما عندي من مراجع ومصادر فيه؛ لعلي أخلص من المسؤولية أمام الله وأنجو من سؤال في يوم لا تزول قدما عبد حتى يُسأل فيه عن علمه فيما عمل به.

انطلقت في العمل على هذا الأساس، وبدأ النشر يؤتي أُكله، وانهالت عليّ الأسئلة من مختلف أنحاء العالم، لكن ذخيرتي العلمية لا تسعفني في الأجوبة عما يأتيني؛ فزدت ساعات العمل وضاعفت الدراسة؛ فكان الهروب من حال إلى حال أصعب بل أكثر مسؤولية؛ فأيقنت أن التكليف يتلوه تكليف، ولا راحة لمؤمن إلا بلقاء الله.

كنت قد حجزت دومين باسم www.fiqhalmuamalt.com لكن صعوبة كتابته أجبرتني على التحول نحو www.kantakji.com إلا أن الجهة التي حجزت عندها – وهو شخص لا يستحق ذكر اسمه –، ضيّع التجديد لهذا الدومين بقلة فهمه واستهتاره. فحجزت www.kantakji.org، وأعدت العمل من جديد.

انتشر الموقع انتشاراً كبيراً ووصل ترتيبه حسب عداد alexa.com إلى ١٣٤٠٠٠ على مستوى العالم.

أوصيت الشخص المشار إليه أن الموقع وقف لله تعالى وليس فيه نية ربح أو استثمار، وأني سأعمل على تأمين من يُنفق عليه حال موتي ليبقى حسنة جارية. لكن هذا الشخص كان عند كل تجديد يرفع رسوم التجديد مع أن الرسوم عالمياً تهبط، فلما ناقشته في ذلك؛ فاجأني بادعائه أن الموقع موقعه وملكه؛ مع أنه يحمل (كنية تخصني) وأنا من اشتراه ومن أنفق عليه؛ وما هو إلا أجير فيما أفعله، ثم ادعى (كذباً) أني لم أسدد له الرسوم؛ فقام قبل انتهاء التجديد بشهرين بحجب الموقع وكتابة رسالة تفيد: الموقع متوقف لأن صاحبه غير مسدد (أو ما

شابه)؛ بغية تشويه اسمي وسمعتي؛ فانتابني حزن شديد، لأني أتوقع أن يضيع الاسم الثاني بعد ضياع الأول وبالتالي انتهاء مشروعي الوقفي. ومن المعروف أنه إذا ضاع (دومين) تسارع شركات الحجز العالمية لحجزه وتملكه ولو لسنوات لأن فرص بيعه تبلغ أضعافاً مضاعفة، ومثال ذلك تبلغ قيمة موقع kantakji.org كسعر أولي حالياً في مزاد WhoIs عشرة آلاف دولار وما زال معروضا للمزايدة حتى هذا التاريخ.

وفي خضم كل ذلك، رأيت في منامي أن الدومين السابق kantakji.com قد تحرر وأنه غير محجوز، قمت من نومي في ظلمة الليل، واتصلت بصديق لي في دبي (كان يعمل بحجز الدومين)، وسألته أن يحجز لي kantakji.com حسبما رأيت في منامي، وهذا إجراء يجب أن يتم لحظياً وإلا ضاع الدومين من جديد، وما هي إلا دقائق، وإذ بصديقي يتصل بي يخبرني بأن العمل قد تم. عند ذلك شعرت بأنها رؤية لا مجرد أضغاث أحلام، بل لعل الله قد ساقها إليّ ليجبر عثرتي؛ فهو من يعلم حرقتي وألمي وحزني على ما حصل.

عاد النشاط من جديد إلى الموقع، فالامتداد com أفضل؛ لأن الناس في كل أنحاء العالم معتادة عليه أكثر من أي امتداد آخر. وقد ألم بذاك الشخص غيظ شديد عندما رأى الموقع يعود من جديد وبامتداده القديم.

انطلق الموقع كمكتبة تجمع وتنشر علوم الاقتصاد الإسلامي مجاناً للمهتمين، لدعم مسيرة هذا الاقتصاد عالمياً، وكان ومازال وقفاً لله تعالى، واستمرت فكرته: إعادة تقديم فقه المعاملات الإسلامية بثوبه الجديد المتجدد، مع مراعاة تغير المصطلحات وتغير آليات الفهم والدراسة.

ولم تخلو مسيرة الجمع والنشر من تعرضي شخصياً لكثير من الانتقادات؛ بعضها كان من مؤسسات أكاديمية وبحثية؛ من أجل مراعاة حقوق الملكية الفكرية، فاضطررت لرفع المحتوى المخالف وتقدمنا بعتذار لمن قد نكون سببنا له الأذية من غير قصد، ووجهت إعلاناً لمن يرى أية مخالفة أن يُعلم إدارة الموقع لإزالتها فوراً.

كان فريق العمل يتألف (من شخصي المتواضع)؛ فكنت بداية الأمر المصمم بلغة HTML وجامع المواد ورافعها، وكنت أيضا من يرد على التساؤلات. استمر العمل على هذا الشكل سنوات عديدة، ثم أسندت تصميم الموقع لدى شركة احترافية كلفني ذلك ٣٠٠٠ دولار إضافة لـ ١٠٠٠ أخرى أجور فريق عمل لنقل المحتوى من النظام القديم إلى النظام الجديد.

وصل ترتيب الموقع إلى ١٦٥٠٠٠ ألف عالمياً حسب عداد alexa.com أي أقل من الترتيب السابق، ووصل عدد زواره حسب تقرير غووغل إلى مليون زائر شهرياً، وهذا كله فضل من الله تعالى.

لكن وبسبب زيادة الازدحام على الموقع Trafic وزيادة حجوم الملفات التي يتم سحبها منه، صار كل من أحجز عنده يخبرني على استحياء: بضرورة أن انتقل من عنده، فأغلبهم أصدقاء متعاطفون مع رسالتي العلمية، وانتقلت من شركة لأخرى، وأخيراً اضطررت لحجز سيرفر صغير بموارد معقولة resources؛ لمقابلة الصعوبات السابقة، ولتقديم الخدمة بشكل مناسب لزوار الموقع، واستمر العمل على ذلك لعدة سنوات تالية.

لكن؛ منذ أسبوع، تعرض الموقع إلى السرقة والسطو من قبل (هاكر) قام بتشفير المحتوى وإبلاغنا بضرورة دفع فدية قدرها ٢٠٠٠ دولار، وحيث أني لا أملك هذا المبلغ، قررت التفكير بما لديّ من حلول؛ وكان التوقف نهائياً أحد تلك الخيارات.

بعد تفكير هادئ، ومراجعة متأنية، قلت في نفسي لعله أمر أراد الله به خيراً لي وللموقع؛ فقررت أن الستة عشر سنة التي مضت جمعاً ونشراً قد انتهت، وأنه قد آن الأوان للبدء بمرحلة عطاء جديدة، وذلك بإعادة تصميم الموقع ثانية؛ ليكون **مدرسة فكرية في الاقتصاد الإسلامي**، أقدمه كما رأيته وعايشته خلال مسيرتي العلمية التي استغرقت كل حياتي العلمية بعد مرحلة الدكتوراه، وهي ستة عشر عاماً من التأليف والبحث والسفر والمحاضرات والمناقشات، وقد بلغت مؤلفاتي ٣٤ مؤلفاً وأكثر من ٢٠٠ مقال اختصاصي.

وفعلاً بدأ العمل على ذلك وأنا مرتاح البال والخاطر؛ سائلاً المولى أن يكون البلاء الذي ألمّ بالموقع مؤشر خير.

وسيكون الموقع الجديد مركزاً لأبحاث فقه المعاملات الإسلامية كسابقه، إنما بصفته مدرسة فكرية تثبت وتتبنى صلاحية هذا الاقتصاد فكراً وتطبيقاً، وستكون المواقع الداعمة له، والتي أنشأتها خلال ما مرّ من سنين هي:

(١) مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية GIEM؛ التي ستدخل عامها الثامن قريبا وهي الآن في العدد ٨٥.

(٢) جامعة كاي؛ التي دخلت عامها الرابع في تقديم اختصاصات في علوم الاقتصاد الإسلامي. وKIE هو اختصار لمدرسة شعرت بوجودها خلال تنقلي محاضراً في بلدان عديدة حول العالم وهي اختصار للعبارة: Kantakji Islamic Economic.

(٣) منشورات كاي؛ وهو مشروع لنشر كتاب اقتصاد إسلامي مجاني؛ حيث نقدم كل شهر تقريبا كتاباً نوزعه مع عدد من أعداد مجلة GIEM؛ ليصل إلى عشرات الآلاف من الناس المهتمين مجاناً، وهذا المشروع؛ أنفذه تصميماً وتدقيقاً وتنسيقاً وإخراجاً بنفسي؛ لتوفير المال الذي لطالما عانيت من قلته، وقد قاربنا الـ ٦٥ كتاباً، وهذا فضل من الله تعالى.

واليوم تم إطلاق موقع مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية بعددها الجديد رقم ٨٥ في موعده وضمن الحلة الجديدة للموقع وهذا من فضل الله تعالى www.giem.info .

وبذلك حولنا الصدمة إلى قوة إيجابية دافعة، والله المستعان.

حماة (حماها الله) بتاريخ ٢٦ شوال ١٤٤٠ الموافق ٢٩ حزيران (يونيو) ٢٠١٩

الدكتور سامر مظهر قنطقجي